الدين والسياسة..

تحليل المشهد



13 جمادى الأول 1435 هـ ـ 14 / 03 / 2014 م

www.ommaty1401.blogspot.com

الإسلام

جاء الإسلام ليحكم.. هذه حقيقة أولية أصيلة يجب أن تكون راسخة في قلوبنا وعقولنا، جاء ليحكم حياة الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية.. وما يتعلق بكل مناشط الحياة ، وجاء ليكون هوية وصبغة للإنسان، وجاء ليكون منهج لخلافة الإنسان عن ربه في الأرض، وجاء ليكون عقيدة وإيمان يمتلئ به القلب، وتشرق به الروح، وينفعل به الوجدان.

جاء الإسلام برسالة شاملة لحياة الناس الروحية والمادية بكل مكوناتها.. ولم يفصل بين أيٍ منها لا في تشريع، ولا في دعوة، ولا في سياسة، ولا في أخلاق، ولا في شعائر. وحدة كلية تعمل مجتمعة لا مجتزئة أو منفصلة عن بعضها.

كانت رسالة غريبة على أسماع العرب، وعلى أسماع الدنيا كلها.. ولكن ظل الإسلام يبني هذا الصرح بهدوء وروية وقوة ومتانة، حتى جعل الأمة المسلمة جسد واحد روحه الإسلام يشد بعضه بعضاً كالبنيان المرصوص، فأخرج الله برسالته هذه.. خير أمة أُخرجت للناس.

وجعل الله سبحانه ذكر هذه الأمة في كتابها، ولا ذكر لها من دون هذا الكتاب، فلقد كان كل ما يشغل بالها قبل البعثة الخمر والنساء والشعر والقبيلة، فإذا بالكتاب يرفع ذكرها بين العالمين: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[الأنبياء: 10]

ففتح الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بها قلوب العالمين؛ وانتشرت في كل الأرض تحمل رسالة الله الأخيرة لكل البشرية محققة الرحمة والحق والعدل. [1]

* * *

مراحل الأمة التاريخية

بدأ الأمر خلافة راشدة، ثم انحرفت – قليلاً أو كثيراً في أحيان – إلى الملك العضوض، ثم انحرفت بالكلية إلى الملك الجبري والطواغيت ! وهذه هي المرحلة التي نعيشها الآن، وإن واجب الأمة كلها هو العمل على الوصول إلى "مرحلة الخلافة على منهاج النبوة" كما جاء في الحديث الشريف.

(1) راجع - إن شئت - دعوة الرسل.

نلحظ هنا أن المشكلات التي وقعت، والكوارث التي حلّت بالأمة كان بسبب انحرافها عن "**الكتاب**" الذي فيه رفعتها وذكرها.. فكلما اقتربت منه رُفع ذكرها وريادتها للعالمين، وكلما ابتعدت وانحرفت عنه كلما كان فيه انحطاطها وغثائيتها وتبعيتها.

في المرحلة التي نعيشها الآن – الجبر والطاغوت – وقعت الأمة في مشكلات لا حصر لها على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والفكرية والعسكرية والحضارية...إلخ. ولا مجال لذكرها هنا بالتفصيل.

* * *

أعداء الأمة والرسالة

يخبرنا القرآن الكريم أن للإسلام وأهله أعداء يريدون أن يطفؤوا نور الله، وأنهم في حالة "قتال" دائم لنا إلى يوم الدين، وأننا إذا ما غفلنا عن "**الكتاب**" لحظة واحدة وأمِناهم؛ سيُجهزوا علينا مرة واحدة. ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ﴾ [البقرة : 217] ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة : 32] ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[التوبة : 8] ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : 120] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران : 118]

لذا أمرنا "**الكتاب**" بالحذر واليقظة الدائمة وإعداد كل قوة، وسد كل ثغرة، والمبادرة والاستباق والقوة في حمل رسالة الرحمة والحق والعدل لكل العالمين: ﴿ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : 63] وأنه لا فراغ في هذه الحياة.. إما أن نحمل الرسالة ونأخذها بقوة، وإما تسلّطوا علينا وقهرونا على دينهم، وظهرت دولتهم؛ وانطفأ نور المسلمين.

* * *

الحل

كعادة الكتاب وأسلوبه المعجز؛ يُبين لنا الطريق بكل بساطة ويسر وسهولة.. بطريقة يستطيع أن يفهمها كل إنسان:

- **عودوا إلى ما فيه ذكركم وريادتكم:** ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: 10]
- **الطريق**: دوروا مع الكتاب حيث دار: "أَلَا وَإِنَّ رَحَى الْإِيمَانِ دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ يَدُورُ" [المطالب العالية لابن حجر/ 4491]
- **الهدف**: خلافة على منهاج النبوة. " ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ "[مسند الإمام أحمد/18031]
- **الوسيلة:** ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: 60]
- **العنصر**: أمة واحدة، وجسد واحد روحه الإسلام يشد بعضه بعضاً.. بعد أن تخلص من التفرق في الدين بغياً وظلماً: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " [صحيح البخاري/5579] "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ "[1] [صحيح البخاري/ 461]

* * *

الحالة المعاصرة

دخلت الأمة أصعب مراحلها "الملك الجبري والطواغيت" بمكر اليهود والصليبيين.. وبالضعف الشديد وعوامل الهزيمة التي كانت عليها الخلافة العثمانية إبان انهيارها؛ حيث كانت تعج بالمشكلات الداخلية ومشاكل الإمارات والأمصار التابعة لها.. إلا أنها كانت وحدة سياسية تجمع المسلمين، وشريعة سائدة ويُنتسب إليها، والولاء للإسلام، وهوية تعتز بها الأمة.. وكل مشكلة وقعت إبان تلك الفترة كانت بسبب البعد عن "**الكتاب**" الذي فيه الذكر والريادة، وكان الحل ببساطة: الاقتراب من الكتاب والاعتصام به.. والدوران معه حيث دار.

(1) راجع : إقامة الدين، وتحكيم الشريعة.. كيف؟ من أين نبدأ؟

لكن ذلك لم يحدث وقام الصليبيون مدعومون بمكر اليهود وأجهزوا على الخلافة المريضة حتى تفتتت وسقطت. فوقعت الأمة كلها في كورات لا حصر لها.. من الذل والتبعية والهيمنة والخضوع وسرقة الثروات واحتلال بلاد المسلمين، وقتلهم في كل مكان تحت أي ذريعة أو بدون.. لا حاجة مجرد انتسابك للإسلام جريمة بنظرهم، فهذا هو العدو الأول للفكر الغربي.

لم تكن الحرب مجرد سلاح، واحتلال، وإسقاط، وتفتيت.. بل ما هو أشد من ذلك، إنهم يريدون "**الكتاب**" مصدر الذكر والريادة والعزة لهذه الأمة، يريدون "**العقيدة**" مصدر القوة والوحدة والكرامة.. يريدون استبدالها بقيم أخرى، وموازين باطلة، وتصورات جديدة، وأخلاق غربية. يريدون "**الكتاب**" ليطفؤوا نوره ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف : 8] لأنهم أدركوا من خلال حربهم على الإسلام أن هذا "**الكتاب**" طالما في أيدي المسلمين؛ سيرتفع شأنهم ولو بعد حين، فأولى بهم أن يطفؤوا نوره ويحرفوه إن استطاعوا، فلما عجزوا حاصروه بالمناهج الوضعية !

فإذا نجحوا في حربهم على الكتاب، وقتلوا العلماء الربانيين "حراس الكتاب" وحاربوهم، وفتنوا الأمة التي هي "وعاء الكتاب".. وسلبوها هويتها، وأخرجوا من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا "عرائس يحركونها كيفما شاءوا ينادون بفلسفات المذاهب الوضعية؛ فلا خوف من تلك الأمة مهما فعلت وقدمت**!** فلا خوف ولا تهديد سيأتي منها. فالكتاب هو الجامع الوحيد لها، ومن دونه فلن تجتمع أبداً، ولن يكون لها ذكر أبداً.

* * *

المناهج الوضعية

نشأت هذه المذاهب الوضعية الغربية - في أوربا - نتيجة لصراع بين الكنيسة ورجال الدين والإمبراطور من جانب وبين عامة الشعب من جانب آخر. أي أن هذه المناهج تتسم بأمرين:

الأول: أنها خرجت من رحم صراع المسيحية مع الشعوب الغربية.

الثاني: أن تلك النشأة غربية المولود والهوية والمصير.

ومن هذه المناهج: (العلمانية - القومية - اليسارية - الليبرالية) وهذا هو تعريفها - كما يعرفها أصاحبها - لا خصومهم:

العلمانية

"تعني اصطلاحاً فصل المؤسسات الدينية عن السلطة السياسية، وتعود جذور العلمانية إلى الفلسفة اليونانية القديمة لفلاسفة يونانيين أمثال إبيقور، غير أنها خرجت بمفهومها الحديث خلال عصر التنوير الأوروبي على يد عدد من المفكرين أمثال توماس جيفرسون وفولتير وسواهما.

وينطبق نفس المفهوم على الكون والأجرام السماوية عندما يُفسّر النظام الكوني بصورة دنيوية بحتة بعيداً عن الدين في محاولة لإيجاد تفسير للكون ومكوناته. كما لا تعتبر العلمانية ذاتها ضد الدين بل تقف على الحياد منه.

العلمانية في العربية مشتقة من مفردة عَلَم وهي بدورها قادمة من اللغات السامية القريبة منها؛ أما في الإنجليزية والفرنسية فهي مشتقة من اليونانية بمعنى "العامة" أو "الشعب" وبشكل أدق عكس الإكليروس أو الطبقة الدينية الحاكمة.

وتقدم دائرة المعارف البريطانية تعريف العلمانية بكونها: "حركة اجتماعية تتجه نحو الاهتمام بالشؤون الدنيوية بدلاً من الاهتمام بالشؤون الآخروية. وهي تعتبر جزءًا من النزعة الإنسانية التي سادت منذ عصر النهضة الداعية لإعلاء شأن الإنسان والأمور المرتبطة به بدلاً من إفراط الاهتمام بالعزوف عن شؤون الحياة والتأمل في الله واليوم الأخير.

غير أن العلمانية لم تنشأ كمذهب فكري وبشكل مطرد إلا في القرن السابع عشر، ولعلّ الفيلسوف اليهودي الملحد إسبينوزا كان أول من أشار إليها إذ قال أن الدين يحوّل قوانين الدولة إلى مجرد قوانين تأديبية. وأشار أيضًا إلى أن الدولة هي كيان متطور وتحتاج دومًا للتطوير والتحديث على عكس شريعة ثابتة موحاة. فهو يرفض اعتماد الشرائع الدينية مطلقًا مؤكدًا إن قوانين العدل الطبيعية والإخاء والحرية هي وحدها مصدر التشريع".

القومية

"هي إيديولوجية وحركة اجتماعية سياسية نشأت مع مفهوم الأمة في عصر الثورات (الثورة الصناعية، الثورة البرجوازية، والثورة الليبرالية) في الفترة من أواخر القرن الثامن عشر.

ولم تعرف القومية، نظرياً، بمعناها الحديث إلا في نهاية القرن الثامن عشر وتطورت في القرن التاسع عشر لدرجة إنشاء دول على أساس الهوية القومية. قبل ولادة عصر القوميات بنيت الحضارة على أساس ديني لا قومي.

والقومية على أساس وحدة الإرادة (مشيئة العيش المشترك): أول من دعا إليها إرنست رينان في محاضرته الشهيرة في السوربون سنة 1882، بعنوان "ما هي الأمة"؟. تقول النظرية أن الأساس في تكوين الأمة هو رغبة ومشيئة الشعوب في العيش المشترك، بجانب التراث والتاريخ.

أما القومية على أساس وحدة الحياة الاقتصادية: فتقف الماركسية على رأس هذا التوجه. وترى هذه النظرية أن المصالح الاقتصادية والتماسك الاقتصادي تكون أقوى الأسس في وحدة الأمة.

ولذلك فإن النزعة القومية ارتبطت بالنزعة الرومانتيكية في الأدب والفكر والفنون: التي كانت تمجد الحرية والبطولة الفردية والتخلص من قيود العصر القديم وتمجد التراث الشعبي كأصدق تعبير عن التلقائية وعن روح الشعوب وشخصيتها، كما ارتبطت أيضًا بالليبرالية السياسية والاقتصادية التي كانت تريد المساواة الدستورية بين كل الناس في كل الحقوق والواجبات".

اليسارية

"اليسارية واليسار عبارة عن مصطلح يمثل تياراً فكرياً وسياسياً يسعى لتغيير المجتمع إلى حالة أكثر مساواة بين أفراده. ويرجع أصل مصطلح اليسارية إلى الثورة الفرنسية عندما أيد عموم من كان يجلس على اليسار من النواب التغيير الذي تحقق عن طريق الثورة الفرنسية، ذلك التغيير المتمثل بالتحول إلى النظام الجمهوري والعلمانية. ولا يزال ترتيب الجلوس نفسه متبعاً في البرلمان الفرنسي.

واليسار قد نشأ كرد فعل على هيمنة الكنيسة على صنع القرار السياسي في القرون الوسطى في أوروبا فقد كان اليسار منذ بداياته معارضا لتدخل الدين في الشؤون السياسية وعندما برزت نظريات تشارلز داروين على السطح قام اليسار بدعمها بقوة. وبصورة عامة يختلف اليسار السياسي عن اليمين بتبنيه العدالة الاجتماعية والعلمانية. وفي معظم دول الشرق الأوسط تأتي اليسارية مرادفة للعلمانية علماً أن بعض الحركات اليسارية التاريخية كانت تتبنى المعتقدات الدينية ومن أبرزها حركة إنهاء التمييز العنصري في الولايات المتحدة على يد القس مارتن لوثر كنج.

في الستينيات ظهر تيار يساري جديد تم اعتباره بأقصى اليسار أو اليسارية الراديكالية أو اليسار الجديد والتي اختلفت عن اليسارية التقليدية بتوجيه اهتمامها نحو قضايا اجتماعية تعدت حدود كونها قضية دفاع لفئة معينة وبدأ العديد من اليساريين الجدد نشاطاً ملحوظاً في مجال حقوق الإنسان وحقوق الحيوان وحماية البيئة وحرية الرأي والتعبير وحقوق المثليين والتوجه الجنسي ومعارضة رهاب المثلية وغيرها من القضايا التي اتخذت أبعاداً أكثر شمولية من اليسارية التقليدية.

وفي مرحلة ما بعد الحداثة بدأ اليسار يبتعد تدريجياً عن النظريات الماركسية والأممية ولا تقبل التحليلات والتفسيرات الشمولية التي تبنتها الشيوعية، وبدأ توجه جديد لليسارية بالتركيز على خصوصية وتركيبة المجتمع الذي نشأ فيه التيار اليساري واعتبرت هذه الوسيلة أكثر واقعية ونفعاً من الأسلوب اليساري القديم في محاولة نسف كامل وإعادة بناء كامل للمجتمع".

الليبرالية

"تطورت الليبرالية عبر أربعة قرون ابتداءً من القرن السادس عشر حيث ظهرت نتيجة الحروب الدينية في أوربا لوقف تلك الصراعات باعتبار أن رضا المحكوم بالحاكم هو مصدر شرعية الحكم وأن حرية الفرد هي الأصل، وقد اقترح الفلاسفة "توماس هوبز" و"جون لوك" و"جان جاك روسو" و"إيمانويل كانت" نظرية العقد الاجتماعي والتي تفترض أن هنالك عقداً بين الحاكم والمحكوم وأن رضا المحكوم هو مبرر سلطة الحاكم.

والليبرالية عبارة عن فلسفة سياسية أو نظرة عالمية تقوم على قيمتي الحرية والمساواة. وتختلف تفسيرات الليبراليين لهذين المفهومين وينعكس ذلك على توجهاتهم، ولكن عموم الليبراليين يدعون في المجمل إلى دستورية الدولة، والديمقراطية، والانتخابات الحرة والنزيهة، وحقوق الإنسان، وحرية الاعتقاد والسوق الحر والملكية الخاصة.

واعترضت الليبرالية على أفكار شائعة في ذاك الزمان كالمزايا الموروثة، تدين الدولة، الملكية المطلقة، وحق الملوك الإلهي. ويُعتبر المفكر الإنجليزي "جون لوك" المؤسس لليبرالية كفلسفة مستقلة، فقد كانت فلسفته تقول بأن للفرد حق طبيعي في الحياة، الحرية، والملكية الخاصة، ووفقاً لنظرية العقد الاجتماعي، فإنه يتوجب على أي حكومة ألا تضطهد أياً من هذه الحقوق الطبيعية للفرد.

وبخصوص العلاقة بين الليبرالية والأخلاق، أو الليبرالية والدين، فإن الليبرالية لا تأبه لسلوك الفرد ما دام محدوداً في دائرته الخاصة من الحقوق والحريات، ولكنها صارمة خارج ذلك الإطار؛ فالليبرالية تتيح للشخص أن يمارس حرياته ويتبنى الأخلاق التي يراها مناسبة، ولكن إن أصبحت ممارساته مؤذية للآخرين مثلاً فإنه يحاسب على تلك الممارسات قانونياً. كما تتيح الليبرالية للفرد حرية الفكر والمعتقد.

وترى الليبرالية أن الفرد هو المعبر الحقيقي عن الإنسان، بعيداً عن التجريدات والتنظيرات، ومن هذا الفرد وحوله تدور فلسفة الحياة برمتها، وتنبع القيم التي تحدد الفكر والسلوك معاً. فالإنسان يخرج إلى هذه الحياة فرداً حراً له الحق في الحياة والحرية وحق الفكر والمعتقد والضمير، بمعنى حق الحياة كما يشاء الفرد ووفق قناعاته، لا كما يُشاء له. فالليبرالية لا تعني أكثر من حق الفرد - الإنسان أن يحيا حراً كامل الاختيار وما يستوجبه من تسامح مع غيره لقبول الاختلاف. الحرية والاختيار هما حجر الزاوية في الفلسفة الليبرالية، ولا نجد تناقضاً هنا بين مختلفي منظريها مهما اختلفت نتائجهم من بعد ذلك.

وتقوم الليبرالية على الإيمان بالنزعة الفردية القائمة على حرية الفكر والتسامح واحترام كرامة الإنسان وضمان حقه بالحياة وحرية الاعتقاد والضمير وحرية التعبير والمساواة أمام القانون ولا يكون هناك دور للدولة في العلاقات الاجتماعية، فالدولة الليبرالية تقف على الحياد أمام جميع أطياف الشعب ولا تتدخل فيها أو في الأنشطة الاقتصادية إلا في حالة الإخلال بمصالح الفرد.

والليبرالية عكس الراديكالية لا تعترف بمرجعية ليبرالية مقدسة؛ لأنها لو قدست أحد رموزها إلى درجة أن يتحدث بلسانها، أو قدست أحد كتبها إلى درجة أن تعتبره المعبر الوحيد أو الأساسي عنها، لم تصبح ليبرالية، ولأصبحت مذهباً من المذاهب المنغلقة على نفسها، مع اتفاق الليبراليين على أهمية حرية الفرد.

ومرجعية الليبرالية: هي في هذا الفضاء الواسع من القيم التي تتمحور حول الإنسان، وحرية الإنسان، وكرامة الإنسان، وفردانية الإنسان. الليبرالية تتعدد بتعدد الليبراليين. وكل ليبرالي فهو مرجع ليبراليته. وتاريخ الليبرالية مشحون بالتجارب الليبرالية المتنوعة، ومن حاول الإلزام سقط من سجل التراث الليبرالي".

هذه هي التعريفات كما وردت في موسوعة "الويكيبيديا" بدون تدخل مني، ونلحظ من هذه المذاهب والمناهج الوضعية التالي:

(1) أنها مذاهب تحدد شكل الحياة وعلاقة الإنسان بالحياة من حوله وتفسيره للوجود، وليست عملية إدارة أو اجراءات أو أمور فنية إنما فلسفة ومنهج حياة.

(2) أنها نشأت من رحم الصراع بين الكنيسة والدولة من جانب مع عموم الشعوب المقهورة من جانب آخر.

(3) أنها تحمل روح الحضارة الغربية اسماً ومعنى واصطلاحاً وفلاسفة.

(4) أنها بالفعل كانت تُمثل لهم طريق الخلاص من عصورهم الوسطى المظلمة المتخلفة، بعد أن كبلتهم الكنيسة روحياً، والإمبراطور مادياً.. واستولى كلاهما على ثروات البلاد، بينما الشعب يرزح في الفقر والعوز والتخلف.

(5) أن هذه المذاهب نشأت كردة فعل على الأوضاع السيئة، فجاءت كارهة للدين عموماً، وفي أحسن أحوالها تحييد الدين عن أي منشط من مناشط الحياة، واحترامه لا لذات الدين، وإنما احتراماً للإنسان الذي يعتنق هذا الدين.

(6) أنها ألّهت الإنسان، وجعلت هواه محور الحياة كلها.. بينما الإله - أياً كان - فهو مسألة أيضاً فردية يحددها الإنسان كيفما يشاء بالطريقة التي يشاء بالعبادة التي يشاء، وجعلت الجهة الوحيدة المنوطة بالاحترام هي "قانون الدولة" وله وحده يخضع الإنسان، وعنده يعرف حدوده.

(7) إن هذه التفسيرات عن الحياة ونظم السياسة والاقتصاد والاجتماع وتفسير الوجود، تُعتبر في نظر الإسلام "**دين**"، ويَعتبر الخضوع لها والإقرار والرضى بها "**عبودية**".. ولهذا فإن الإسلام يرفضها جملة وتفصيلاً، بل ويرفض أن يكون للبشر كلمة فيها سوى كلمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. فالتصورات والمفاهيم والقيم والموازين ومنهاج الحياة وشريعتها أمر يقره "**الإله**" وحده. وأما الخلافة والحضارة وترقية الحياة وعمارتها، وريادتها والانطلاق فيها لتحقيق أقصى معاني ودرجات الخلافة فيها.. فهذه "**مهمة**" الإنسان الذي خَلفه الله في أرضه؛ ليعمل وفق منهجه.

كانت هذه المذاهب منذ نشأتها وتطورها والحذف والإضافة التي تمت عليها، تمثل "طوق النجاة" للحياة الأوربية التي جمدت وعقمت وتكلست على "دين الكنيسة" فجاءت هذه المذاهب لتُطلق لهم متاع الحياة الدنيا من كل قيد، ومن كل خُلق، ومن كل حساب.. فانطلق الناس فيها كالحُمر المستنفرة لا إله سوى المادة واللذة، وراحت تبدع في تلك الحياة بعد أن اطلقت كل طاقات الإنسان، وأحسنت استثمار هذه الطاقات، وأتقنت الإدارة والتنظيم.. فانفجرت الثورة الصناعية ثم التكنولوجية مصحوبة بعملية نهب وسلب وشفط لثروات الشعوب الضعيفة عموماً، وهيمنة على العالم بأسره، ومحاصرة الفكر الإسلامي ومحاولة تدميره، لأن العالم الغربي رغم علمانيته فهو لم يتخل عن روحه الصليبية تجاه الإسلام والمسلمين. وما الحرب التي يشنها في كل مكان في العالم منا ببعيد، بل أكد أجزم أنه لا يوجد مسلم على وجه الأرض إلا ومسه نصيب من تلك الحرب العسكرية والفكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية !

كما أن العالم الغربي في اكتشافه لهذه المذاهب التي أطلقت له متاع الحياة الدنيا من كل قيد، وحققت له ما أراد.. أن يَفجر: ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ [القيامة : 5] اعتبر ذلك نهاية العالم، ومنتهى الفكر، ونهاية التاريخ فلقد جاء عصر العلم، وانتهى عصر الخرافة والغيب.. ولم يسمح ببروز الإسلام كبديل حضاري متميز وفريد. بل يجب أن يكون هناك دين واحد أو مذهب واحد هو المذهب الوضعي المادي الذي يُكرس اللذة والمتعة والهوى.. وعولمة هذا الدين الوضعي !

كانت هناك إشكاليات عميقة في هذه النقطة:

(1) الغرب يريد أن يتفوق حضارياً، ولا يريد ذلك للإسلام.

(2) الغرب يعرف أن الإسلام هو عدوه الأول، وهو الذي سيقطع عليه الطريق.

(3) الغرب يُسوق لدينه ولفكرته جيداً، ويقدم لها المبررات الكافية والواقعية، مصحوبة بثورة علمية وصناعية ومعلوماتية وتكنولوجية ونانو تكنولوجية.

(4) الغرب يُقر الإسلام على أنه دين يُحترم، وتُمارس شعائره في قلب بلاد الغرب ولا إشكالية معه كشعائر، أما أن يحكم فهي الحرب من كل طريق.

(5) الإسلام انحسرت معالمه وفكره وهويته وشريعته في نفوس المسلمين، وتسلموه من الخلافة العثمانية – آخر مراحل الملك العضوض – مجرد حلقات صوفية وشعائر ومشاعر حب غامضة في القلوب.

(6) في اللحظة التي سقطت فيها الخلافة، كانت هي إعلان الوفاة عن موت فكرة الإسلام الحقيقية في قلوب الأمة، وخروج روح الإسلام من جسد الأمة المتوفاة.. صاحبه انطلاقة غربية علمانية صناعية تكنولوجية ارتبط نجاحها بنشوء هذه المذاهب، وأصبح كل نجاح علمي وصناعي مبناه الفكري هو تلك المذاهب.

* * *

سؤال النهضة

ظل هذا السؤال يلح بشدة على أمة فقدت عزتها وهويتها وحضارتها وريادتها ومكانتها، وصُدمت أمام التفوق الحضاري والصناعي الغربي وأصبح سؤال النهضة للمهزوم حضارياً، وللأمة المتوفاة.. أين السبيل؟

فجاءها الجواب.. لقد تقدم الغرب بتلك المذاهب، فعليكم بها !

كانت هذه الإجابة أكبر كذبة في تاريخ المسلمين كله، وأكبر كارثة حلّت بهم، وبهذه الخدعة أدرك الغرب أنه ارتاح من تلك الأمة المتوفاة، وضمن أنها لن تقوم طالما تدور كالسائمة حول تلك المذاهب، لأنه يعرف طبيعة نشأة تلك المذاهب، والروح والبيئة التي وُلدت فيها، وأنها كانت حل أو رد فعل لمشكلة عندهم، وليست عندنا.

و إذا كنا نعاني مظاهر التخلف والجمود والانهيار كما كانوا يعانون، فنعم المظاهر متشابهة لكن ليس هو نفس المرض، وليس هو نفس العلاج !

كان الحل ببساطة هو "**الكتاب**" ولا شيء غير الكتاب.. "دوروا مع الكتاب حيث دار"، ففيه كل شيء، فيه علاج لما حل بنفوسكم من أمراض الاستبداد، فيه معالم الطريق، فيه تفسير للحياة والوجود والإنسان.. يُجيب على كل الأسئلة المصيرية، ويرسم معالم الحياة الدنيا والآخرة بصورة إعجازية يفهمها كل إنسان. ولكن حدث العكس...!!

تم محاصرة "**الكتاب**" وتحويله إلى ترانيم وأصوات عذبة، وقراءة في المأتم وعلى رؤوس القبور ! وتم استبداله بالعلمانية كمنهج حياة.. وعولمة المذاهب المختلفة "ليبرالية – يسارية – قومية... إلخ".

بدأت العلمانية فوراً في عملها بعد سقوط الخلافة، وكان "كمال أتاتورك" و"محمد علي" ممن تولوا كِبر هذا الأمر.. لم يدخر أتاتورك وسعاً في تدمير كل ما يتم للإسلام بصلة، وأنتهج برنامج تغريبي قائم على أساس هيمنة الأيديولوجية العلمانية الصارمة، وتنحية كل ما يمت للدين بصلة في شئون حياة الناس اليومية أو شئون الدولة. وكذلك "محمد علي" عمل في "الجانب الفكري" على ضرب الجذور الفكرية للإسلام، وإرسال البعثات التي تأتي بالبشارة ! من أوربا بأننا عرفنا الطريق وأننا ماضون فيه !

كانت هذه هي الطعنة القاتلة المميتة التي غرسها الغرب في صدر هذه الأمة.. محاصرة "كتابها" بكل وسيلة، ومن كل طريق، وقبل أن أتوسع في هذه النقطة أحب أن أشير إلى عوامل الضعف التي كانت كامنة في جسد الأمة، وجعل لديها قابلية لهذا الأمر.. لقد توقف الفقه الإسلامي عند القرن التاسع الهجري، ولم ينتج شيء! واشتغل بالصراعات المذهبية. وتوقف علماء المسلمين عن فقه الشريعة والخلافة الراشدة، وتنازع الأمراء على الممالك والاقتتال على متاع الدنيا، وحصر الدين في الشعائر، وتفشت أمراض الاستبداد التي فتكت بالإنسان، وشعوره بقيمته وذاته، وولاءه وانتمائه. فكانت الفرصة مواتية للإجهاز على "**الكتاب**" وتحييده عن الحياة !

وبدأت أمة الإسلام المتوفاة مرحلتها هذه "الحكم الجبري والطواغيت" بأن فقدت الطريق من بدايته، وفقدت سلاحها الوحيد "**الكتاب**" وانطلقت شياطين الإنس والجن تطوف بهذه الأمة في كل سبيل غير صراط الله المستقيم، عسى أن تدرك شيئاً مما حققته أوربا.. واقتربنا من مائة عام على سقوط الخلافة ولم تحقق ما أرادت.. لم تحقق نهضة وثورة علمية كأوربا، ولم تُقم دينها وشريعتها وتحمل رسالتها للعالمين، بل كلما مر عليها الزمان، كلما ازدادت ضعفاً وهزيمة وتبعية وهيمنة للغرب، وسرقة لكل ثروة حتى العقول البشرية. بل وأعضاء البشر !

لم يحاربنا الغرب في جانب دون آخر، ولم يكتف بسرقة الثروات واحتلال الشعوب.. بل إنها الحرب الشاملة:

الحرب العسكرية: وهذه أسهل حرب، وأوضحها.. فلسنا بحاجة أن نقول أنه عدو، وأنه يحاربنا وأنه يقتلنا**!** وإن كان البعض شكك في ذلك واعتبرها عملية تنوير**!!**

الحرب السياسية: وهي حرب "الهيمنة" و"التبعية" للغرب في نظم الحكم، بحيث تكون وكيلة عنه، منفذه لتعليماته، قاهرة لشعوبها.. مسارعة في عدوها. وتنشر الاستبداد والفساد والظلم؛ الذي يدمر بنية الإنسان النفسية وطاقاته وأخلاقه، ويفكك المجتمع والأمة.. ويتركها أكوام من القطع الآدمية.

الحرب الفكرية: وهذه هي أشد الحروب، فهي اعتمدت بالأساس على ضرب موطن القوة المتفرّد لهذه الأمة وهو "**الكتاب**"، واستبداله بالمناهج الوضعية كالعلمانية واليسارية والليبرالية والقومية.

الحرب الاقتصادية: وهي قائمة على شفط الثروات، وجعل الأمة في حالة من الاحتياج والعوز الدائم، لا تملك قرارها، ولا اختيارها، ولا نهضتها. ومحاصرة كل مصدر للثروة حتى العقول البشرية المبدعة.

الحرب الثقافية: وهي تسويق للحرب الفكرية من خلال الأدب والمسرح والصحافة والإعلام والسينما والتلفزيون، والهيمنة عليها بصورة كاملة، ولا تنطق بكلمة عن الإسلام إلا في المناسبات وفي دائرة الشعائر والمشاعر. أما الحياة والفكر والمشكلات والسياسة والاقتصاد.. إلخ فما من إنتاج ثقافي إلا ويعبر عن روح المذاهب الوضعية بالتلميح وبالتصريح وبالفكرة وبالكوميديا وبكل وسيلة، حتى خرجت أجيال لا تعرف بل لا تتصور منهج للحياة سوى تلك المذاهب.

الحرب التعليمية: واعتمدت في الأساس على بناء المنهج التعليمي وفق أسس المناهج الوضعية، وتعبيراً عنها، وتبشيراً بها، وأصبح العلم هو ما يأتي من الغرب.. فهو القدوة ونحن ندور معه حيث دار، حتى ولو دخل جحر ضب !

هذه الحرب التعليمية من أخطر من حدث لهذه الأمة.. فأبناء الأمة محاصرون من كل طريق من روضة الأطفال إلى أكبر الجامعات.. كل ما يتعرضون له من علوم من هو إلا تعبير عن روح المذاهب الوضعية.. حتى العلوم التطبيقية – وإن كانت بعيدة قليلاً عن فلسفة الحياة وفكرتها – فلم تسلم من لوثتها فجاء الحديث عن مسألة الخلق والنشأة والكون بعيداً عن الغيب والإله.. باعتباره لا يليق بالبحث العلمي !!

ولنتخيل هذا المشهد.. أطفال أبرياء يحملون رصيد الفطرة والإسلام.. صفحة بيضاء نقية ليس مطلوباً منا سوى إيقاظ رصيد الفطرة في القلوب، ونقش آيات الكتاب في الصدور، وإطلاق طاقات العقول تجدد الحياة في الجيل الجديد، فإذا بوحش غربي يضع قبعته، ويحمله سوطه وكتابه، غارق في السُكر والمخدرات.. يأتي ليغتصب الأطفال الأبرياء، لا يغتصبهم مرة واحدة ويمضي، بل آلاف المرات، وبكل وسيلة، ولا يتركهم إلا وقد فقدوا عذريتهم وحملوا سفاحاً منه. وليس هذا فحسب.. بل إن هذه الجريمة المتوحشة لا تُسمى باسمها! بل تُسمى (تقدم وتنوير وحضارة وثقافة وعلم!!) بل ويُسمى الغاصبون قادة الحرية والإخاء، فيُحملون على الأعناق.. أي: يحمل المقتول قاتله على كتفه ويهتف باسمه، بينما القاتل يمرر السكين على رقبته وهو يذبحه !!

هذا المشهد هو بالضبط ما يحدث لأبناء المسلمين عندما "تغتصب" المناهج الوضعية العلمانية الغربية عقولهم وأرواحهم وفكرهم؛ فيحملون سفاحاً – منذ نعومة أظافرهم – هذا الفكر الوضعي ليكونوا رعاته وأباءه وقادته في المستقبل !

أما ما يسمى بكليات الشريعة والدعوة وغيرها: فكانت دراسة لتاريخ المذاهب الفقهية، والصراعات.. لم تحمل أبداً شريعة الإسلام كبديل عن كل هذه المذاهب الوضعية، وتحولت إلى ما يشبه كليات اللاهوت التي تخرج طبقة رجال دين يتولون شؤون المؤمنين في المجتمع. أي وظيفة لخدمة الإنسان المتهم بالدين ! وأصبح الأصل هو الانشغال بالشهادات والدرجات العلمية، دون تقديم حلول حقيقية أو الأخذ بناصية الأمة إلى صراط الله المستقيم في حالة من الدعوة والجهاد المستمر حتى تستفيق الأمة.

ثم جاءت الفروق الطبقية والمادية لتزيد المشهد تعقيداً.. التعليم حسب المستوى المادي، فهذه روضة الأطفال الإنجليزية والفرنسية، وهذا الأب يتكلف آلاف الجنيهات في الترم الواحد لمدرسة ابنه الإنجليزية في الصف الابتدائي، ثم الثانوي.. ثم الجامعة الأمريكية والفرنسية والألمانية... إلخ.

ثم إلى النوادي الخاصة وأندية روتاري وليونز وأنرويل! حيث التفرقة في كل شيء في الملبس والمأكل والمشرب وحتى في طريقة الكلام، وإنبات النموذج الغربي على أرضنا.. دون الحاجة للاحتلال، ودون الحاجة لأن نسميه احتلال أصلاً، فهؤلاء أبناء شرعيون من جسد هذه الأمة المتوفاة.

فتشربوا ورضعوا من نعومة أظفارهم إلى مرحلة الشباب كل المذاهب الوضعية من كل طريق، وبكل وسيلة.. وسيكونون هم القادة، والسياسيين، ورجال المال والأعمال، وصناع القرار، وأصحاب التوجيه والإعلام، وأهل الثقافة، وصفوة المجتمع ورجاله !

ولا يفوت الغرب أن يفرط في عقول المتميزين في الطبقات الدنيا ! بل يمنحهم المعونات التعليمية للدراسة في جامعاته أو في بلاده، ليعودوا ليكملوا الدور.. ويبقى في "الاحتياطي" إذا حدث عجز في الطبقات الأولى التي صُنعت على أعينهم من الميلاد إلى الوفاة.

حالة من الحصار الحضاري والثقافي والسياسي والاقتصادي والفكري اطبقت على "**الكتاب**" حتى انتهى الأمر بالاستبدال !

إذن "الكتاب" محاصر في المدرسة والجامعة وفي الفن والثقافة والسياسة والاقتصاد وفي نمط الحياة !

* * *

وبالعودة لسؤال النهضة.. أين السبيل ؟

بالطبع بعد هذه الحرب، وبعد هذا النمط التربوي والثقافي، وبعد عولمته وفرضه بالقوة والقهر تارة، وبالإقناع والواقعية تارة، وبالسياسة والاقتصاد تارة، ومن خلال وسائل التوجيه والإعلام تارة؛ ستكون الإجابة: إما العلمانية أو الليبرالية أو اليسارية أو القومية، هكذا تقدم الغرب، وهكذا ساد.. انظر حولك كم منا يتمنى أن يعيش هناك، وينعم بالحرية والمساواة والعدل والاحترام والكرامة ؟!

فلنجرب اليسارية.. وتمضي الأجيال وننهزم !

أين السبيل ؟

فلنجرب الليبرالية.. وتمضي الأجيال وننهزم !

أين السبيل ؟

نحن لا نستحق أن نكون مثل الغرب الحضاري المتطور الراقي، نحن أحقر من ذلك !

وتتشفى أمراض الاستبداد أكثر وأكثر وتسحق ذات الإنسان، وقيمته، حتى ليكاد يكفر بكل شيء.. فلا حياة شبه كريمة، وضغوط من كل جانب ! سحق للإنسان وتدمير له حتى يفضل الموت على الحياة، وعلى الجانب الآخر في الغرب المتلألئ.. تأليه للإنسان وحسن استثماره وإدارة مجتمعه وتنظيم حياته وحفظ حقوقه وكرامته وحريته.

ينظر الإنسان المسحوق حوله فلا يشعر إلا بالأسى على حاله، ويتمني أن يكون في جنة الغرب.. ولسان حاله يقول: يا ليتني كنت معهم فأنعم بالحياة !

* * *

العودة لمشهد الانهيار

أمة مريضة على وشك الوفاة أصابتها أمراض خطيرة ببعدها عن "**الكتاب**" الذي فيه ذكرها وريادتها ورفعتها. وبدل أن ترجع إليه تطلب الشفاء: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً ﴾ [الإسراء : 82] إذ بها تقع في الخديعة وتستبدله بالكلية بالمناهج والمذاهب الوضعية! وتجعل أوربا قِبلتها وتدور معها حيث دارت.. سواء على مستوى الفكر والثقافة أو المنهج وطرق الحكم والسياسة والاقتصاد وأسلوب الحياة.

يسمع الإنسان المسحوق – في بلادنا – هذه الكلمات التي يُجملون بها مذاهبهم الوضعية: "حقوق الإنسان، الحرية، المساواة"، فيغرم بها أيما غرام، ويتمسك بها أيما تمسك.. فتكون كشربة الماء الباردة في الصحراء القاحلة، ثم يجري الإنسان في تلك الصحراء وراء شربة الماء فإذا هي سراب، وخداع. فلقد جهل هذا الإنسان موقعه على خريطة الحياة! فلقد ضاعت أمته أولاً ، وهملت وهجرت كتابها..

وهذا الإنسان المطارد المعذب ما هو إلا فريسة لدعاة المذاهب الوضعية.. لا يفهم أنه فريسة ومستهدف، وأنهم يخدعونه ليضيعوه عن طريق عودته لكتابه، ولسرقة ثروته ودمه وماله ثم في النهاية قتله بدم بارد ! لا يفهم إلا عندما يسيل الدم على رقبته وهم يذبحونه !

* * *

الحركة الإسلامية

نشأت الحركة الإسلامية كرد فعل على سقوط الخلافة.. وكان رائد هذه الحركة الشيخ حسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد سبقه غيره لتلك المحاولات.. إلا أن الفكرة تبلورت على يد الشيخ حسن في فكرة واحدة "**إحياء الأمة بالقرآن**" فهو الشريعة والهوية والمنهج والحضارة والطريق..

جن جنون الغرب، كيف انبعث هذا الدين من جديد ؟ أولسنا اطبقنا عليه من كل طريق ؟ كلا.. لن يضيع أحد جهد مئات السنين ! سنسحق كل حركة تريد إعادة هذا الدين ليحكم مرة أخرى، وسنشوهها من كل طريق. وبالفعل أعلنت أعنف وأقذر الحروب على تلك الفكرة "**إحياء الأمة بالقرآن**"..

في معركتنا هذه دوماً الحرب الفكرية أو "العقيدية" هي أخطر الحروب ومنها ننهزم، إن الفكر لا يمكن إلغاءه.. ولكن يمكن استبداله وتفكيك منظومته وبناءه. وبطول الأمد وضغوط الحياة سيترهل الفكر، وستضيع الفكرة الأصلية.

قُتل الشيخ البنا، ومن بعده سيد قطب – رحمهما الله – وذهبت معهما "مدرسة الإحياء والتحدي الحضاري والعقائدي" وجاءت الفرقة والشتات والتفرق في الدين.[1]

الإصل في الحركة الإسلامية: أنها حركة إحيائية تريد إحياء الأمة بالقرآن بعد وفاتها، وإعادة روح الإسلام إلى جسم الأمة كلها.. وتوظيف طاقات أبناءها لبناء أمتهم ولإقامة الدين، وتحكيم الشريعة، وإعلاء كلمة الله، وحمل رسالته، وتوحيد أمة محمد ﷺ. ولا تطمع الحركة الإسلامية في حكم، ولا منصب، ولا جاه، ولا سلطان، ولا شهرة.. فهل تحمل رسالة أثقل من ملء الأرض ذهباً، وترى الدنيا ساعة من نهار، وهذه الساعة لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

فهي لا ترى إلا مهمة "**الإحياء**" ومهمة "**حمل الرسالة؛ وإنقاذ البشرية**" ومهمة "**إقامة دين الله وتحكيم شريعته في أرضه**".

فمن أين يأتي التفرق في الدين، ومن أين يأتي الشقاق والاختلاف ؟

يأتي عند التخلي عن هذه المهمات:

(1) **الإحياء.**

---

(1) راجع: أثر النفسية المصرية على بعث الإسلام من جديد.

(2) **حمل الرسالة وإنقاذ البشرية.**

(3) **إقامة الدين وتحكيم الشريعة.**

وبالفعل وقعت الفرقة في الدين وكانت هي أشد العذاب:

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[الأنعام : 65]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام : 159]

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[الشورى : 14]

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[البقرة : 213]

تفتتت فكرة الإحياء ! وراح الناس يقسمونها حسب ميولهم النفسية: فكرة سياسية، دعوية، جهادية، سلفية.. وتفرق كل قوم على فكرة وتنظيم وحزب، واعتبر كل فريق الآخر عقبة في طريقه. ونشأت مصطلحات جديدة "الإسلاميين" "الإسلام السياسي" "الإسلام الأصولي" "الإرهاب" في هذه الأثناء لم تكن الساحة فارغة من مكر الغرب، فهو عدو يقظ حذر دائم التربص بنا ! بل كان يغذي هذا التفتيت ! ويضرب الجميع ببعضهم البعض.

وأما أصحاب القرار والتوجيه في دوائر تخطيط السياسة، وصنع القرار، وصناعة الرأي العام، والتشريع.. كلهم على منهج المذاهب الوضعية (العلمانية – اليسارية – الليبرالية – القومية).

كانت أنشط هذه الأفكار هي فكرة "الإسلام السياسي" لأن جماعة الإخوان المسلمين هي التي حملتها وهي أنشط الحركات. ومن هنا نشأت إشكالية السياسة والدين.

كل حركة إسلامية مهما كان نشاطها وأياً كان نشاطها فهي في مرمى العدو، وفي مرمى الهجوم سواء الهجوم المباشر أو الهجوم عن طريق الوكلاء المحليين.. قاعدة أصيلة يجب أن تكون نصب أعيننا مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة : 217] إلا أن العدو يغير تكتيكه وطريقة هجومه في كل مرة، ويظهر أنه لا يحارب الإسلام كدين وشعائر إنما يحارب الإرهاب والأصولية... إلخ ويدعو إلى التوسط والاعتدال، فيلجأ إلى تأييد فريق من الحركة الإسلامية على حساب الآخر لضرب الآخر بأيدي أبناء الحركة نفسها، وبعد الانتهاء يعود مرة ثانية ليقضي على الجميع، استراتيجية متكررة طوال تاريخ الحركة الإسلامية.

اختار الإخوان "البرلمان والنقابات" كوسيلة للوصول للحكم، وأعلنت تأييدها للديمقراطية والصندوق، وتحالفت مع بعض الأحزاب العلمانية، واليسارية، والليبرالية في (سباق الانتخابات) ثم قامت ثورة يناير 2011 ثم اكتسحت انتخابات البرلمان والرئاسة ثم تحطيم كل ذلك على يد العسكر والليبراليين واليساريين وبعد المنتسبين للحركة الإسلامية – المتعارضة مصالحهم مع الإخوان! – وعادوا إلى نقطة الصفر !

بدأت تلك الرحلة من فترة الثمانيات إلى الآن، ومنها نشأت إشكالية السياسة والدين.

* * *

الصورة والمشهد

المكونات الفعالة في المجتمع: [دوائر صنع القرار – دوائر التخطيط السياسي – الدوائر العسكرية والأمنية – دوائر التربية والتعليم بكل مراحله – دوائر المال والثروة – دوائر التوجيه والإعلام – دوائر التشريع والقضاء] كلها على المذهب الوضعي القديم والمتعارف عليه.. خلطة من العلمانية والليبرالية واليسارية.. تؤمن إيماناً جازماً – كما تعلمت ونشأت وتربت – أنه:

لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين.

نحن نمارس شعائر الدين ونحترمه، ولكن لا سياسة في الدين، ولن نكون أبداً دولة ثيوقراطية.

نحن نعيش مشكلات كثيرة، وإجابة سؤال النهضة والحل ما هو إلا: المنهج الغربي!

نحن نريد دولة مدنية حديثة، فيها: ديمقراطية، حقوق إنسان، حرية، مواطنة، احترام أقليات، حرية عقائد... إلخ.

نحن ضد إنشاء الأحزاب على أساس ديني، وضد توظيف الدين في السياسة.

إذن ماذا يريد الإخوان المسلمون، وماذا يريد الإسلاميون أصلاً ؟

الإخوان مكون من مكونات المجتمع وتريد المشاركة في الحياة السياسية.

الإخوان تستخدم "الدين" في حشد الناس، وإقناعهم في عملية ابتزاز ديني وعاطفي.

الإخوان تتحالف مع العلمانيين وينزلون على قوائم الإخوان.

الإخوان تريد الوصول للحكم وتستخدم الدين في ذلك.

إذن الصورة التي أمامنا

الطرف الفعال في المجتمع: يؤمن بالقيم والمذاهب الغربية، ويرى أن الدين لا علاقة له بالسياسة.

وطرف آخر "إسلامي": يريد الوصول للحكم من خلال البرلمان والانتخابات.

وبالتالي فالإخوان خصم للطرف الفعال لأنهم - في نظرهم -:

- يستخدمون الدين من أجل الوصول لمصالحهم السياسية.

- خصم أيديولوجي لأن النشأة الفكرية والثقافية للطرف الفعال هي غربية علمانية!

- تناقض موقف الإخوان إذ أن خطابهم السياسي خطاب تشاركي تصالحي يوأم المجتمع، ويؤيد أفكاره.. فما يقول به العلمانيون يجري كذلك على لسان الإخوان بصيغة أو بأخرى.

إذن - مرة ثانية - ماذا يريد الإخوان ؟

الشريعة.. ؟!

الشريعة مطبقة بالفعل.

الشريعة في الدستور.!

الشريعة لابد لها من تمكين.!

الشريعة غير مناسب الحديث عنها في ذلك الوقت.!

أحكام الشريعة كالحدود.. مجرد أحكام فقهية.!

يتعقد المشهد أكثر.. وتموج الأفكار:

المشاركة السياسية أصلاً حرام لأنها تقر نظام الطاغوت وحكمه.

يجوز المشاركة السياسية للدفاع عن مصالح المسلمين وعن الإسلام وعدم ترك الساحة لهم.

الشريعة غير مبطقة بالدستور ويحتوي على مواد مخالفة للشريعة.

عموم الأمة كفار لأنهم رضوا بحكم الطاغوت.

الحكام كفار لأنهم طواغيت ونحوا شريعة الله.

عموم الأمة مسلمين لأنهم لم يرضوا ولم يريدوا حكم الطاغوت بل فرض عليهم جبراً.

كل الحكام مسلمين لأنهم يقولون لا إله إلا الله.. وعدم تحكيم الشريعة كفر دون كفر.

العلمانية كفر، وكل العلمانيون كفار.

العلمانية وما نتج عنها من ليبرالية ويسارية وغيرها كفر، ولكن ليس كل العلمانيون كفار لجهلهم بأمر قياداتهم.

ما هذا المشهد العبثي ؟ نحن نطالب بحقوقنا، ولا نريد غير حقوقنا ونحن نحب الإسلام ومسلمين.. لماذا أقحمتم الدين هكذا ؟ تباً لكم.. أنتم تتاجرون بالدين، وتستخدمونه لتحقيق مصالحكم السياسية.. كل ذلك بسبب تلوث الدين العظيم، بالسياسة القذرة. كفاكم عبثاً بهذا الدين العظيم، وتعالوا نتفق على مبادئ عامة وفق القواعد السياسية المعروفة !

صورة شديدة التعقيد، شديدة الالتباس، شديدة الغموض على أغلب فئات الأمة كلها ! أنى لها أن تفهم وسط هذا الضجيج الكثيف، والأبواق المنطلقة من كل مكان كل منها يعادي ويلغي الآخر !

تقف الأمة المتوفاة أمام هذا المشهد مصدومة صامتة مستغربة تائهة ضائعة.. أين الطريق وسط كل أولئك:

أهم الإسلاميون ؟

إنهم أناس محترمون ومهذبون ومتدينون.. ولهم من أعمال البر الكثير، ولكن لماذا يتمسكون هكذا بالوصول للحكم ؟ وهل يملكون القدرة والأدوات على إدارة البلاد ؟

أهم العلمانيون ؟

إنهم أناس متعلمون، مثقفون، قريبون من لغة الشارع، منتشرون في كل مكان، ذوي خبرة في الحكم والإدارة والسياسة والعلاقات الدولية، وأقدر وأجدر على الحكم، ولكننا جربنا منهم كل شيء ولم يفلح ؟!

ماذا أريد ؟

أريد الحرية والخروج من الاستبداد، أريد العدالة والمساواة، أريد تداول السلطة، والفصل بين السلطات، ورد الحقوق.

تعال إلينا: هذا هو المنهج الغربي، وهذه هي البشارة التي نحملها.

تعال إلينا: نحن الإسلاميون ما جئنا إلا من أجل ذلك.. نحن متحضرون، ولا تلتفت إلى الدعاية الكاذبة علينا.

أنى لإنسان يُعاني من أمراض الاستبداد بكل أنواعها[1]، ويعاني من خلل في المنهج الفكري وطرق الاستقراء، وهو بطبعه شديد العاطفة، شديد التأثر، سريع الغضب.. عاطفته دوماً فوق عقله، ولم يخرج من ذاته قط شديد الالتصاق بها.. لم يُفطم منها بعد، يعيش طفولة فكرية، ومجتمعية إن لم يكن معوق أصلاً ! أنى له أن يفهم هذه الصورة المعقدة.

---

(1) أمراض الاستبداد حوالي 23 مرضاً - كما جاء في القرآن الكريم - وهي دراسة تحت الإعداد.

ثم يسأل أبناء الحركة الإسلامية في النهاية ما حكم ذلك الإنسان ؟ هل هو كافر أم مسلم ؟ وهل تجري عليه أحكام الإسلام أم الكفر؟ وما حكم هذه الطائفة وتلك ؟ وهل معذورون أم لا ؟!!

* * *

وبالعودة لمشهد الأمة المتوفاة

أمة تعاني من مشكلات وعلى وشك الوفاة بسبب بعدها عن كتابها الذي فيه ذكرها وريادتها ورفعتها.. اطبق عليها عدوها التاريخي من كل جانب، وحاصر كتابها واستبداله بمناهج وضعية مزيفة ! ثم تفككت تلك الأمة إلى دويلات وتفتت رسالتها.

وبالعودة لإشكالية السياسة والدين

أين الخلل ؟

هل هناك حقاً سياسة في الدين ؟

إذن ومن يمارس السياسة هذه سيصبح كل ما يفعله دين ؟!

أم لا دين في السياسة، وفي الحديث: "انتم أعلم بشؤون دنياكم" ؟!

وهل حقاً الإسلاميون على حق، ونحن على باطل، وهم أهل الجنة ونحن أهل النار ؟

لقد تقدم الغرب وازدهرت حضارته عندما فصل الدين عن السياسة وترك للناس حرية ممارسة حياتهم، انظر إلى أولئك الذين يتشدقون بالشريعة هم الذين يعيشون آمنون في بلاد الغرب الذي يسمونه كافر ؟!

هذه الأسئلة وغيرها مما ورد هنا لم تجد لها الأمة إجابة شافية كافية لها.. بل ظلت تتأرجح بين هذا وذاك فلا هي إسلامية أصيلة، ولا علمانية أصيلة.. ولا هي حصلت الدنيا وحلت مشكلاتها، ولا تدري مصيرها في الآخرة.[1]

* * *

---

1 راجع: خطورة الفكر العلماني على بعث الإسلام من جديد.

لماذا أصبحت الإجابة على تلك الأسئلة صعبة؟

(1) غياب المعيار والميزان والقيم التي نقيس على أساسها.

(2) الصراع بين الإسلام - كنور لن ينطفأ أو يموت - وبين العلمانية التي رسخت وجودها في الأمة من كل طريق عبر ما يقرب من مائة عام.

(3) الفكر الجزئي والمختزل والمقطوع.

(4) غياب العدل عند الحديث عن الخصوم.

(5) العاطفة الشديدة والالتصاق بالذات، واعتبار الفكرة جزء من الذات والكرامة لا تقبل النقد.

(6) غياب النقد الذاتي والنقد الموضوعي، والفشل في تفكيك وتركيب المشكلة ورؤية صورة كلية لها. وعدم القدرة على "الاستبصار" بعد "العلم".

(7) تعدد المذاهب الوضعية، وتفتت المنهج الإسلامي.. إضافة لتفشي أمراض الاستبداد.

(8) حالة الحرب الفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية المستمرة التي تَحُول دون التقاط الانفاس وتنظيم الصفوف، وترسيخ الأفكار.

* * *

تحليل المشهد

الإسلام جاء ليحكم، وهو منهج حياة هذه هي عقيدته. ولكنه ليس للسياسة فقط بل جاء لروح الإنسان وعقله وجسده وواقعه وحياته فمنهجه متفرد يحمل تلك الخصائص: الربانية - الشمول - الثبات - التفرّد - التوازن - الواقعية - الإيجابية - المثالية - التوحيد. ومقوماته: حقيقة الله، والكون، والحياة والإنسان.. وعلاقة الإنسان بكل هؤلاء. فكرة شاملة غير قابلة للتجزئة ولا تعمل بصورة فردية بل تعمل مجتمعة متكاملة يشد بعضها بضعاً.. هكذا منهجه، وهكذا أيضاً أمته.

وحتى نفهم، ونجيب على الأسئلة الواردة في هذا البحث، يجب رفع الالتباس وتفكيك الارتباط بين أمور تبدو متطابقة ومتشابهة في ظاهرها:

رفع الالتباس والارتباط بين الإسلام والمسيحية وما انتهت إليه من "علمانية"

فما انتهت إليه المسيحية من علمانية كان هو طريق الخلاص لها لمتاع الحياة الدنيا. أما اعتبار الإسلام مثل المسيحية يجب أن ينتهي إلى العلمانية فهو – لا شك – فهم معاكس ومنحرف للإسلام.

فالمقارنة التاريخية تبين الفرق، في الوقت الذي كان فيه الإسلام هوية وشريعة ورابطة ولاء وانتساب كان الازدهار في كل شيء، وكانت أوربا تحسد المسلمين على ما هم فيه، ويرسل ملوك انجلترا أبناءهم لبلاد الحضارة الإسلامية ليتعلموا العلوم، وتفاخر أبناء الصليبيين بالحديث بالعربية لغة العلم والثقافة.

ثم.. انهزم المسلمون بتخليهم عن "**الكتاب**"، وأصبحوا في أسوأ حال على كل المستويات.

في نفس الوقت تحررت أوربا من قيود الكنيسة والامبراطور وانطلقت.. بعلمانيتها تُأله الإنسان وتستثمر فيه، وتعلي من شأنه وجنسه وقوميته.. وراح أبناء المسلمين يحسدون أوربا على ما هي فيه، ويرسل المسلمون أبناءهم ليتعلموا هناك حيث العلم والثقافة والتنوير. ويتفاخر أبناء المسلمين بالحديث بالإنجليزية لغة العلم والثقافة.

ولكن أوربا لم تكن بأخلاق المسلمين الذين حملوا رسالة الحرية والعدل والرحمة لكل البشرية وأخرجوهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن عبادة البشر إلى عبادة رب البشر، بلا مقابل سوى رضى الله سبحانه.. أما الحضارة الغربية فلم تعط العلم مجاناً بل أرادت معه الهيمنة على كل شيء، والتبعية لها في كل شيء، وجعل كل شيء بثمن وكل شيء يباع ويشترى: الدين، الأخلاق، الأحلام، الآمال، معاناة الشعوب.. الدماء، الأعراض، الأعضاء البشرية.. كل شيء قابل للبيع والشراء، واستحلت في استعمارها وفي عولمتها وفي طريقها كل شيء !

وبالعموم الإسلام سيُعطل عمل العلمانية في بلادنا، والعلمانية تقطع الطريق على رسالة الإسلام.. ونحن سنظل في هذه الحالة من التذبذب والتوقف والاستنزاف والتدافع بينهما حتى نحسم المسألة – إن شاء الله – لصالح الإسلام كاملاً ونقيمه كاملاً فيُرفع ذكرنا في العالمين ونفوز بالدنيا والآخرة..

أو يُحسم – لا قدر الله – للعلمانية ويأخذ الناس نصيبهم من الدنيا على قدر أعمالهم، وسيكون المصير كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ. أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود:15، 16]

***

رفع الالتباس وفك الارتباط بين الدين بمفهومه الغربي وبين الإسلام

الدين في المفهوم الغربي يتلخص في: (الحق الإلهي المقدس – طبقة الإكليروس ورجال الدين – أسرار الكنيسة – احتكار تفسير نصوص كتابهم المقدسة – تقسيم المجتمع إلى كاهن وعلماني) وهذا التكوين أنتج في النهاية عصور أوربا الوسطى المظلمة، ونشأ لدى شعوبها مع الدين بهذه المكونات عداء عميق جداً داخل الشخصية الأوربية، أما الروحانيات والتأملات والرياضات الروحية فلا بأس بها لأنها تجعل الإنسان في حالة من الشجن والهدوء والسكينة ! الدين بعد الثورة الفرنسية تلخص في كونه عقيدة فردية غيبية يعتقد صاحبها ما يشاء، يمارس عقيدته في حدود دور العبادة لا يتجاوزها قيد أُنملة. ومن يحاول انبعاث الدين من جديد فهو بمثابة من يحاول العودة بهم إلى عصورهم المظلمة، واحتكار النصوص، وتكوين طبقة من الاستبداد الديني والاستبداد الإمبراطوري وخداع الشعوب بالآخرة.. هذا خلاصة الدين في المفهوم الغربي، وهذا هو سر العداء المعلن له.

أما الإسلام فليس له أي علاقة بهذا المفهوم. وعندما كانت أوربا في عصورها المظلمة، كان الإسلام يحكم ويفيض نوره وحضارته على كل البشرية، إذ أنه ليس بدين "Religion" بالمفهوم الغربي، بل الإسلام تكوين متكامل ومنهج فريد. وليس فيه حق إلهي أو طبقة مقدسة أو احتكار للنصوص أو أسرار أو تقسيم للمجتمع إلى كاهن وعلماني.. إنما هو هوية وشريعة وعقيدة وثقافة وحضارة ومتجمع ودولة، ومنهج لخلافة الإنسان على الأرض، يقدم أعظم صورة للتوازن بين الدنيا والأخرة والروح والمادة أو كما قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [المائدة: 3]

***

رفع الالتباس بين المذاهب الوضعية الغربية، وبين النجاح الغربي

المذاهب الوضعية الغربية: التي تقدم تفسير للحياة والوجود، وتضع النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفق أهواء البشر ومذاهبهم فهي تعتبر في نظر الإسلام "**دين**" والخضوع لها "**عبودية**" والإسلام يقول أن "**الإله**" وحده لا شريك له هو الخالق هو الذي يقول الحق وحده في تفسير الوجود والحياة والإنسان، ويضع للإنسان - خلفيته في الأرض - القيم والموازين والتصورات والمفاهيم والحق والباطل، ودور الإنسان هو "**الخلافة**" عن الله في أرضه، والعبودية له وفق منهجه؛ ولذلك خلقه.. ولذا فالمسلم يرفض تلك المذاهب الغربية الوضعية من منطلق إيماني عقيدي راسخ، لا لمجرد أنها أتت من الغرب.

وأما النجاح الغربي: وأما حسن استثمار الإنسان، وإطلاق طاقته، وأما الإبداع في الإدارة والنظم والمؤسسات، وأما العلوم التطبيقية والتكنولوجيا الحديثة.. فالمسلم مأمور بتحصيلها كجهد بشري تشترك فيه كل الإنسانية، وكعلم لسنن الله في الكون والحياة. ومأمور أن يستفيد من كل تجارب البشرية، وما فيه الخير والحكمة أخذه وطوره وزاد عليه، وما يتعارض مع منهج الإسلام تركه ولفظه، وحذر أصحابه من مغبة ومصير الباطل فيه.

***

رفع الالتباس بين اتباع المنهج الوضعي، وبين الحكمة ضالة المؤمن

اتباع المناهج الوضعية وترك المنهج المقابل لها في الإسلام.. يعني ذلك منهج الإسلام " اتباع دين آخر "، حتى ولو كان من يتبع المناهج الوضعية يصلي ويصوم.. فسيكون توصيفه في الإسلام أن يعبد إله يصلي له ويصوم، ويعبد إله آخر في نظم الحياة ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 85]

أما الحكمة فهي ضالة المؤمن: يُحصّل كل علوم الدنيا ليحمل بها رسالته، ويعلي شريعة ربه.. فإذا الغرب لديه من "الإجراءات" الإدارية والفنية ما يضبط به الأمور بدقة فالمؤمن أولى الناس بها، وأولى الناس بتحصيلها، ولولاء أن الأمة في مرحلة الوفاة لكن أول من وصل إلى تلك العلوم والإجراءات هو المؤمن.. لأنه بطبيعة إيمانه ورسالته الأكثر انطلاقاً وحركة، والأكثر دعوة وتجربة. ولكن لما وقعت الوفاة. . حصلت

فجوة علمية إدارية فنية، والمسلم مأمور بسد تلك الفجوة بتحصيل كل علم ليخدم به رسالته، فإذا كانت تلك العلوم غربية فليس للمسلم علاقة بمنهجها وتصورها عن الحياة والإنسان والإله، فيمضي مؤمناً بهذه التصورات الوضعية.. باسم أنه يحقق التقدم والمدنية، فهذه الخدعة لا يمكن أن تنطلي على قلب مسلم أبداً.

***

رفع الالتباس بين عداوة الغرب، وأخطاء الحركة الإسلامية، وتطلعات الأمة.

الغرب: عدو يحاربنا بكل وسيلة، قد تكون عموم المجتمعات الغربية لا مشكلة لها معنا، لكن البناء السياسي والثقافي والفكري لدى الغرب، قائم على التحدي وصراع الوجود والتدافع، وهو كذلك بالنسبة للإسلام.

أخطاء الحركة الإسلامية: عاجزة عن النقد الذاتي والاعتراف بالخطأ بل تلقي باللوم على الغير، وتقول أنها مضطهدة ومستهدفة وهذا حق ولكن ليس كل الحقيقة، بل إنها تسببت بتخليها عن فكرة الإحياء وتفتيتها للرسالة إلى الانفصال عن الأمة والاستعلاء عليها وعدم النهضة بها، وطالبت الأمة أن تأتي إليها، لا أن تأتي هي لتنتشل الأمة مما هي فيه! وانشغلت بالألاعيب السياسية وجعلت اختيارها هو اختيار الإسلام ولا اختيار غيره، ومن يعاديها ويرفض اختياراتها فقد عادى الدين ! وتمارس عملية استبداد حقيقية داخل الحركة الإسلامية ! ومن هنا غذت فكرة المناهج الوضعية على ضرورة فصل الدين عن السياسة !

تطلعات الأمة: الأمة تطلع إلى الحرية والخروج من الاستبداد، تتطلع إلى نظام سياسي عادل، وتمثيل حقيقي وفصل بين السلطات، تتطلع إلى الحصول على حقوقها، والمساواة.. إلخ[1] وهذه الحقوق تجد من يتغنى بها هو الغرب، ومن يدعوا إليها هو الغرب..! إن الغرب الذي يتغنى بالحرية والإخاء والمساواة – وهي قيم نبيلة في ذاتها – هذا الغرب نشأت عنده تلك الأفكار من فكرة تأليه الإنسان وعبادته لهواه.. وترك كل غيب أو آخرة، إنها باختصار قيم "بل يريد الإنسان ليفجر أمامه" وبعد هذا الفجور هو الاكتئاب والانتحار والقلق والتفكك الأسري والانحلال والانهيار الأخلاقي والنفسي. ثم إنه في حالة شديدة التطرف من القومية فلا قيمة إلا لحدود قومه وجنسيته، أما ما خارج حدوده في مستباح !

---

(1) راجع: الشورى وآلياتها، ومعالم الدولة المسلمة.

ولا تعرف الأمة أن الإسلام هو أول من جاء بالحرية، ولم يأت بها في صورة نظام سياسي فحسب، بل في عقيدة شاملة ترد الأمر كله لله، وتجعل حياة الإنسان في صورة من الاتزان والتوازن الدائم الأمر الذي تستقر معه نفسية الإنسان ويشعر بالسعادة والطمأنينة والرضى، ويشعر بذاته وكيانه ووجوده، ويحقق خلافته على أرض، وهو ينتظر العودة إلى الآخرة.

***

رفع الالتباس وفك الارتباط بين قادة العلمانيين والليبراليين واليساريين، وبين المخدوع بالشعارات

القادة العلمانيين ومن خرج من رحم العلمانية، ويستعلن عداءه للشريعة، ويرفض الانتساب للشرع، والولاء للإسلام.. ويجاهر بذلك فهؤلاء - لا شك - وقعوا في حالة من "الردة عن الشرع" وللأسف أغلبهم إن لم يكن كلهم يرأسون كل الدوائر الفعالة في المجتمع، ولا يستعلنون العداء للإسلام كعقيدة فردية أو شعائر بل تجدهم مشاركون فيها، ويخدعون الأمة وأتباعهم بالشعارات البارقة: الحرية - حقوق الإنسان - العدالة الاجتماعية - المساواة - المدنية ... إلخ ولا شك أن مثل تلك الشعارات البارقة الجميلة تجذب إليها الناس وينخدعوا فيها، وهي في ذاتها حقوق ولكن حقوق من أي منطلق؟ هل من منطلق تأليه الإنسان، واتباع الهوى ؟ أم من منطلق اتباع الشرع؟ ومن منطلق خلافة الإنسان ودوره على الأرض، واستعداده للعودة إلى ربه، وشوقه ولهفته للعودة إلى جنته.. وفي نفس الوقت يعمل ليصل لأقصى درجات الخلافة والعمارة والحضارة على الأرض؟

وبالتالي لا ينسحب حال القادة على الاتباع، فلربما التابع لهؤلاء القادة متوهم بشعارات وحقوق وملتبس بتأويل أو خديعة. لذا يجب التفرقة بين العلماني الكاره والمعادي للشريعة (ويريد) التحاكم إلى غير شرع الله، و(يرضى) بغير شرع الله وهذه حالة "كفر وردة"، وبين الملتبس بالشبهة والواقع في الخدعة.

وأحب التنويه على أن هؤلاء القادة العلمانيون أبداً لم يكونوا أصحاب مبادئ؛ فتجد اليساري يبيع أفكاره ومبادئه للرأسمالي ويتاجر بأحلام الفقراء وحلم العدالة الاجتماعية، وتجد الليبرالي الحر يسارع في العسكر المستبدين، وبمجرد أن تضغط بيادة العسكر قليلاً على وجهه يشيد بعصور الحرية والديمقراطية ويتحالف معهم، وتجد الديمقراطي يحطم الصندوق الذي تنكر له.. قادة كذبة حملوا مذاهب وضعية لا تمت لحضارتنا وطريق خلاصنا بأي صلة، وكذبوا في حملها، وكذبوا في اعتناقها، وباعوا آمال الناس،

وأحلامهم، ومعاناتهم.. فضلوا وأضلوا. لقد كان فلاسفة هذا الفكر في أوربا صادقين مع أنفسهم، ومع شعوبهم وحملوا إليهم بشارة متاع الحياة الدنيا، وأهملوا الآخرة لكنهم لم يكذبوهم فيما ذهبوا إليه.. بل قدموا إليهم الفكر الذي وصلوا إليه وآمنوا به، حتى وإن كان باطلاً ويضيع عليهم الآخرة وصراط الله المستقيم.. لكنهم لم يبيعوا مبادئهم كما فعل أولئك الذين يدّعون أنهم قادة التنوير والفكر في بلادنا.. أولئك المرتزقة بأفكار ومذاهب غيرهم.

***

رفع الالتباس والارتباط بين الدعوة والقضاء

الكتاب محاصر، والأمة متوفاة، والإسلام في غربة.. والعدو مسيطر على كل شيء، ومتربص بنا في كل حركة، وركام أخطاء الحركة الإسلامية يملأ الطريق ! وفي هذه الحالة لا سبيل إلا (دعوة) الأمة كل الأمة بكل الحب والحرص.. والصدق في هذا الحرص ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : 128] عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنِّي مُمْسِكٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَتَقَاحَمُونَ فِيهَا تَقَاحُمَ الْفَرَاشِ وَالْجَنَادِبِ" [مسند الشهاب/1053] ، يجب أن يظهر ذلك الصدق والحرص والغيرة على المسلمين والإسلام في كل فعل، وقول.. وكل فعل لم يظهر فيه ذلك فهو منقوص، ويجب أن تجتمع الأمة على كتابها الذي فيه ذكرها، ولا ذكر لها من دونه.. ولن تتوحد المجتمعات والشعوب فضلاً عن الأمة، إلا عندما يتوحد مفهومها للإسلام كعقيدة وشريعة ونظام حياة. وهذه الدعوة يجد أن تأخذ أسلوب عصرها من حيث الآليات والأدوات والقدرة على التوجيه والتأثير والحشد، وليست هي دعوة محصورة في خطبة شيخ على المنبر ! بل يجب الإحاطة بكل وسيلة حتى تبلغ الدعوة كل بيت وكل إنسان بكل وسيلة، ومن كل طريق. ويجب بيان الإسلام كما أنزل، وبيان دور الكتاب كما جاء، وبيان دور المسلمين، فلن تنهض هذه الأمة إلا بمجموع أفرادها، وإلا باستغلال كافة موارد وطاقات أبنائها، لن تنتصر بنجاح حزب أو جماعة، ولن تنتصر بصلوات مسلم وحده في جوف الليل.. هذه الأمة لا تنتصر إلا في مجموعها.. وهذه سنة الله سبحانه في التغير: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : 11] ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال : 53]

ولا بد أن تغير ما بأنفسها من أفكار المذاهب الوضعية الباطلة، وتغيير قيمها وموازينها وتصوراتها ومفاهيمها. حتى تعود من جديد خير أمة أخرجت للناس.

أما القضاء:

وهو الانشغال بالأحكام الفقهية بالإسلام والكفر على أفراد بعينها، ولقد استهلك هذا الجانب من الأمة الكثير من الطاقات، وأنتج الكثير من الخلافات الناشئة أصلاً عن غياب القاضي المسلم والمحكمة المسلمة والدولة المسلمة التي يستسلم فيها الجميع لشرع الله. ودخلوا في جدل فقهي بين الإفراط والتفريط، وفي الأساس أصلاً لا يُوجد واقع لتنفيذ وإجراء هذا الفقه.. الأمر الذي يحول المسألة إلى نوع من الترف الفكري، بدلاً من عملية الإحياء وإنقاذ الأمة. وهذا الفرق بين بيان معنى الإسلام وحقيقته، وبيان مظاهر الشرك الحادثة في الأمة وهي في غفلة عنها، أو أجبرت عليها، أو نشأت من الميلاد إلى الوفاة وفقها !! وبين التقصي وراء الناس لإجراء الأحكام عليهم والاستسهال في إطلاق أحكام الكفر، رغم أنه حكم شرعي، فإجراء أحكام الكفر مثل أحكام الزنا مثل أي حكم شرعي.. أحكام جادة تتطلب قاضي مسلم، ومحكمة ومسلمة، ودولة مسلمة يستسلم فيها الجميع لشرع الله، وفيها ضمانات العدالة، والدفاع، والإجراءات الشرعية الأخرى كعواض الأهلية، واستفياء الشروط وانتفاء الموانع.. وهذه هي مهمة القاضي المسلم، حيث الحكم بالردة سيسقط عنه حقوق الميراث والزواج وعلاقات الأبناء، والصلاة عليه...إلخ.

وهذا التلامس والالتباس بين الدعوة والقضاء أنتج حالة من الاستسهال في الوضع الخطير والكارثي الذي عليه الأمة من جانب، وعلى الجانب الآخر أنتج حالة من الغلو في التكفير وإجراء الأحكام على أحاد الناس. وأحياناً عندما نفشل في الدعوة والتغيير، نستسهل التكفير للراحة النفسية وإلغاء مهمة "الإحياء" بإلغاء الآخر.

***

رفع الالتباس بين دعوة الآخر والعدل معه، وبيان الإسلام كما أُنزل

موقف المسلم من الآخر هو موقف "دعوة وإنقاذ" رسالة حب وسلام.. سلام حقيقي عالمي قال الله تعالى فيه: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ

وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : 16] ﴿ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس : 25]

والمسلم يرى في الآخر من غير المسلمين أو من المسلمين الواقعين في الشرك بجهل أو تأويل أو تربية أو غربة عن الإسلام يرى فيهم مشروع حياة، فالنبي ﷺ قال: "لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ عَلَى يَدِكَ رَجُلا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ" [المعجم الكبير الطبراني/ 987] وهذا الحالة النفسية والواقعية عند المسلم تجعله شديد الحرص على الآخر، وتجعله لا يفجر في الخصومة ولا يظلم أحداً، ولو على نفسه.. فالحق والعدل سمة رئيسة وأصيلة في الإسلام ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [النساء : 135] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : 8]

حتى إنه لا يُقابل الخيانة بالخيانة.. بل في الحديث: "أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ" [سنن أبي داود/3070] فالمسلم يؤمن إيماناً جازماً يملأ عليه قلبه وحياته بهذا الدين، ويمضي بهذا الإيمان وذاك اليقين.. وهو يرى الآخرة أمامه ولا يبتغي إلا وجه الله الكريم.

ولا يطمع في شيء من متاع الدنيا القليل، ولا يطمع فيما عند الناس، ولا ينتظر حتى تقديرهم وثناءهم، فلا ينتظر جزاء إلا من الله. وعندما يدعو الناس إلى الله بهذا الشعور والسلوك.. يشعر الناس منه حرارة الإيمان، وبرد اليقين، وطمأنينة النفس.. يلمسون الحرص منه عليهم، فهو لا يسألهم أجراً، ولا يريد لهم إلا السعادة في الدنيا، والجنة في الآخرة، وينفق ثمرة فؤاده، وما في يديه لإنقاذهم، ولا يَمل من إعراضهم، ويرأف بضعفهم وجهلهم، ويحنو عليهم بإشراقة الروح، وابتسامة القلب، وسعة الصدر، وخفض الجناح. واليقين فيما يحمله من رسالة وإيمان.

فيجمع بين القوة في الحق، والرحمة في الدعوة إليه.. وهذه هي دعوة الرسل.

هذا بالنسبة لمن جهل الإسلام أو عاش في غربة عن الإسلام، وتعرض وتأثر بالهجمة الفكرية والثقافية عليه. أما من أعلن الحرب على الإسلام وشريعته فالإسلام يواجه كل وسيلة بما يكافئها، فهو ليس بدين سلبي وليس هو دين دعوة فحسب بل يعد لكل أمر ما يكافئه ويناسبه وفق سنة التدافع بين الحق والباطل،

فيواجه الدعوة بالدعوة، والفكر بالفكر، والسياسة بالسياسة، والقوة بالقوة.. وفق منهجه الشامل والمتوازن والمتفرّد والإيجابي.

***

رفع الالتباس والارتباط بين الحركة الإسلامية والإسلام

فالحركة الإسلامية خرجت عن فكرة "الإحياء" إلى أفكار جزئية ثم تحزبت وتمحورت حولها وأعطت لها الولاء، وانفصلت بها عن الأمة، واستعلت عليها، وانشغلت بمصالحها الحزبية، وتعصبت لفكرتها وعملت على علوها. وهي في النهاية جماعة بشرية ليست مقدسة ولا معصومة ويعتريها أحوال البشر من النجاح والفشل، والضعف والقوة، والإخفاق والهوى، وهي وغيرها تُقيم في النهاية وفق موازين الإسلام.

أما الإسلام فهو ليس سياسة أو جهاد أو تربية أو دعوة أو اقتصاد فحسب، إنه عقيدة تشمل كل هذا الوجود، وتحقق معنى خلافة الإنسان على الأرض، ومعه الكتاب الذي يحدد أين يسير؟ وماذا يختار؟ ويضع له القيم والموازين والتصورات والمفاهيم ؟ إنه عقيدة وشريعة وهوية وفكر وثقافة وحضارة ودولة ونظام. والإسلام هو المقدس وهو الذي يعلو وهو الذي إليه نرجع ونتحاكم.

***

رفع الالتباس والارتباط بين الإسلاميين والإسلام

الإسلاميين: تأتي كوصف مقابل الليبراليين واليساريين والعلمانيين.. ودرج مصطلح "إسلامي" بمعنى الشخص الذي يؤدلج الإسلام ويُسيسه، و هذا المصطلح غير صحيح إذ لفظ "إسلامي" لا يُطلق إلا على المنتج الحضاري للإسلام أو ما يخرج عن الإسلام من نظم: كالثقافة الإسلامية، الفكر الإسلامي، الاقتصاد الإسلامي، السياسة الإسلامية. أما الشخص الذي يؤدلج الإسلام ويُسيسه.. أي يحول الإسلام من عقيدة شاملة إلى مجرد ايدلوجيا "فكرة" ويسيسه (يستخدمه سياسياً) فيسميه البعض "إسلاموي Islamist". وخطورة نشأة هذا المصطلح "الإسلاميين" - إن صح التعبير - تكمن في اختزال الإسلام في "السياسة" ، والتحزب الفكري والصراع السياسي، وجعل المسألة صراع بين فئات فكرية مختلفة ويسع بعضها بعضاً، واستغل العدو تلك المسألة في محاربة الإسلام كله، باسم أنه يحارب الإسلاميين "الوصوليين النفعيين الذين يشوهون الإسلام ويريدون الوصول إلى الحكم" !! ساهم في ذلك الإداء المنحط لكثير من

قيادات الإسلاميين سواء على المستوى السياسي أو المستوى الدعوي والإعلامي.. وأصبحت أخطاءهم مادة إعلامية للسخرية والضحك! وأثناء ما تضحك الأمة وتخفف عن نفسها وطأة المشكلات تُطعن ثوابت الدين وقواعده وأصوله دون أن تشعر. ويصبح أي إشكالية أو عداوة بين الإسلاميين وغيرهم من الليبراليين... إلخ هو مجرد "صراع سياسي" على مصالح حزبية أو استحقاقات انتخابية أو معارك فكرية تنظيرية فلسفية معقدة متشابكة لا يفهمها عوام الأمة فضلاً عن أن تكون محل اهتمامهم من الأساس.. وتنتهي الصورة إلى منتهى التعقيد عندما يجد الناس فصيل ينتسب للدعوة والحركة الإسلامية يتحالف مع العلمانيين والليبراليين ضد طرف آخر من الحركة الإسلامية.. الأمر الذي يقطع لدى الأمة أن الأمر مجرد "صراع مصالح" وهي في النهاية ليست طرف فيه، وليست معنية به !!

ويتسأل العامة في براءة إذا كان هؤلاء إسلاميون، فماذا نحن؟ ولما يتسمون بهذا الاسم ؟ وهل الليبرالي أو اليساري مسلم؟ إنه يتحدث عن محاسن وأخلاق الإسلام.. إنه ليس عدو للدين كما يصفه الإسلاميون؟ إنني لا أفهم شيء!! ثم تعود الصورة للتعقيد مرة أخرى بصورة بشعة عندما يجد إسلامي آخر يتحالف مع الليبرالي تحت مسميات جديدة ومبررات جديدة لفعل أفعال جديدة !

أما **الإسلام**: فهو عقيدة شاملة ترد الأمر كله لله، ويضع الميزان، ويحكم على كل فكرة وضعية بالباطل، وهم يعلو ولا يعلى عليه، ويهيمن على كل ما دونه من أفكار. وأما البشر والأحزاب والجماعات التي تتسمى بغير الإسلام، وتجتمع على رابطة ولاء غيره، وتنتسب إلى غيره فهو يرفع الالتباس أولاً، ويزيل الشبهة، ويفند الفكرة، ويبين المكر، ويحكم بالعدل، ثم في النهاية يستعلي بمنهجه الرباني ويفاصل عليه. وهو عقيدة تعمل على توحيد الأمة على كلمة التوحيد، بلا افتراق أو بغي أو ظلم أو غل أو حقد أو حسد أو ضغينة.. فيطهر القلوب والعقول أولاً ثم الواقع والحياة ثانياً وتوحيد الأمة وطريقها ثالثاً، وكلمة السر فيه هي (التوازن) ما من شيء في عقيدة الإسلام ومنهجه إلا وتجد التوازن يزينه ويضبط حركة الإنسان فيه، وإذا غاب هذا التوازن فاعلم يقيناً أن هناك خلل جثيم. وإذا رفع أحد راية الإسلام وتحرك باسمها.. فإن فعله محسوب عليه وحده لا على الإسلام، وإن المرجعية الأصيلة الوحيدة هي الإسلام وليست أفعال الإسلاميين.

***

رفع الالتباس بين مصلحة الإسلاميين وجماعاتهم الحزبية وبين مصلحة الإسلام والأمة عموماً

مصلحة الإسلاميين الحزبية وجماعاتهم من حقهم أن يسعوا إليها ولكن بصفتهم الشخصية لا بصفة مصلحة الإسلام، ومفترض أنهم إسلاميون - إن صح التعبير - أي عاملون من أجل الإسلام فالأصل في ذلك أنهم قد خرجوا من كل حظوظ الدنيا المادية والمعنوية وقدموا ثمرة فؤادهم وأرواحهم للدفاع عن مصلحة الإسلام التي هي إعلاء كلمة الله وتحكيم شريعته، ومصلحة المسلمين التي هي توحيد الأمة، وإحياءها من جديد، والدفاع عن مصالحها المادية عموماً. ولكن كثيراً ما يحدث - ويسبب التباس شديد لدى عموم المسلمين - أن تتحول مصلحة (حزب إسلامي) أو طائفة من المسلمين إلى أنها مصلحة الإسلام كله ! ومصلحة الدعوة كلها ! وهذا ما يجعل الناس ترتاب في تلك الدعوة ! فيجب أن لا نخلط بين مصلحة الإسلام ومصلحة حزب أو جماعة. فنظن خطئاً أو جهلاً أن مصلحة الحزب هي مصلحة الإسلام، فنروح نحقق مصالحنا الخاصة باسم الإسلام، ونزعم في نفس الوقت أننا رجاله وقادته، فيجب أن نكون على يقين أن الإسلام وتطبيق شرعه يستخدمنا ويستعملنا، لا أن نستخدم الإسلام ونستعمله!.

كما يجب التأكيد على أن أي فئة أو جماعة عاملة للإسلام عندما يتحول ولاءها العام من الأمة إلى التنظيم، ومن الانتساب للإسلام والعقيدة إلى الانتساب لفكرة جزئية؛ فقد انفصلت بذلك عن الأمة، والأصل أن الولاء للأمة كلها، والانتساب للإسلام وحده. وكل جماعة تعمل من أجل الإسلام إنما يجمعها إطار العمل المشترك، لا التحزب والعصبية الجاهلية التي قال فيها النبي ﷺ: "إنها منتنة".

***

رفع الالتباس بين الممارسة السياسية للمسلم، وبين المنهج السياسي الإسلامي

عندما يمارس المسلم السياسة فليس هذا معناه أنه يتبع "الإسلام السياسي" لأنه لا يوجد شيء اسمه "الإسلام السياسي"، ولا يوجد في الإسلام مثل هذه التقسيمات والتفريعات.. فالإسلام: عقيدة ووحدة شاملة لكل نواحي الحياة بكل مكوناتها، ويضع لها التصورات والمفاهيم والقيم والموازين.. وعندما يمارس المسلم السياسة فإنه يمارسها من باب "**العبادة**" لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.. مثلما يمارس باقي مناشط الحياة الأخرى، فلا فرق بين قيام الليل، وبين العمل السياسي أو الاقتصادي أو العسكري أو الاجتماعي أو الثقافي لتمكين رسالة الإسلام، والدفاع عن مصالح المسلمين. والمسلم الذي يمارس السياسة فهو يعمل على أمرين:

الأول للإسلام: بإعلاء كلمة الله، والعمل على إقامة دينه وتحكيم شريعته، وإعلاء كلمته، وتوحيد أمة حبيبه محمد ﷺ .

والثاني للمسلمين: بالدفاع عن مصالحهم في العموم، والتمكين لهم على كل المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية والإعلامية والثقافية، وحفظ حقوقهم وأموالهم وأعراضهم وأرواحهم ودمائهم. فإذا نجح فقد التزام بالمنهج الإسلامي واتبع سنن الله في النفوس والمجتمعات. وإن فشل فقد انحرف عن المنهج الإسلامي، أو لم يتبع سنن الله في الكون.

أم المنهج السياسي الإسلامي: فهو المرجعية التي نعود إليها لنُقيم أعمالنا وتصوراتنا ونصحح به مسارنا، فكل ما ينبثق عن الإسلام من تصورات وموازين فهي دين للمسلم.. ولا يحل له أن يضع مكان موازين الإسلام موازين وضعية.

***

رفع الالتباس وفك الارتباط بين استغلال الفرص، وبين العمل في إطار هوية الدولة

قد تكون هناك فرصة سياسية جادة للدفاع عن المسلمين في مؤسسة أو هيئة ما.. وفرصة للدفاع عن مصالح المسلمين.. عموم المسلمين والأمة وليس الحزب والجماعة بل مصالح كل المسلمين فلا بأس من ذلك. ولكن لا تتحول المشاركة إلى إضفاء شرعية على أوضاع مخالفة للمنهج الإسلامي، أو هي في الأساس خطة لتفريغ طاقات المسلمين في لا شيء، أو استدراجهم لفخ الحزبية والصراعات الفكرية والسياسية، أو إقرار منهم بشرعية الدولة العلمانية التي يعملون في إطارها. هذا التلامس بين وجود فرصة "حقيقية" لمصلحة الإسلام وعموم المسلمين، وبين الإقرار بشرعية أنظمة طاغوتية أنتج حالة من الالتباس الشديد، والفوضى الفقهية والفكرية.

***

فك الارتباط بين الشريعة وأنتم أعلم بأمور دنياكم

للأسف الشديد قصرت الحركة الإسلامية تقصيراً شديداً في بيان الشريعة، فأحياناً كثيرة تجد الحركة الإسلامية ترفع "لواء الشريعة" ثم تحرقه فوق رؤوس الناس ! بتأويل خاطئ، أو استعجال أهوج، أو تفسير سطحي، أو فهم منقوص، أو دون تفنيد الشبهات! أو مذهبية تعصبية؛ وهذه الأمور من أشد ما

يصد عن سبيل الله!! ولأنه موضوع طويل يرجع إليه في بحث: إقامة الدين وتحكيم الشريعة، كيف؟ من أين نبدأ؟. وبحث: الشورى وآلياتها ومعالم الدولة المسلمة.

أما أنتم أعلم بأمور دنياكم: فهو حق أنتم أعلم بأمور صناعتكم وفنون أعمالكم، والإجراءات الإدارية.. إلخ والحكمة ضالة المؤمن بل هو مأمور بالسير في الأرض لتحصيل كل العلوم والفنون. أما القيم والموازين والتصورات والمفاهيم أم الحلال والحرام والحق والباطل والمنهج الإسلامي، وحقيقة الله والكون والحياة والإنسان.. فهذه جاء بها كتاب من السماء، وهذا الكتاب هو طريق الأمة وطريق ريادتها وعزتها، ومن انحرف عنه فقد انحرف عن صراط الله المستقيم، وتفرقت به السبل في الضلال المبين.. وسيُسأل عن ذلك الكتاب: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: 44]

***

رفع الالتباس والارتباط بين التجربة السياسية والنظام السياسي الإسلامي

وهذا الارتباط سبب الكثير من الفتن في فهم الإسلام.. التجربة السياسية والاختيار السياسي هو فعل بشر، ويقيم صاحبه وحده ولا ينسحب على المنهج الإسلامي نفسه.. لكن المنشغلين بالسياسة من الحركة الإسلامية في هذه الجزئية جعلوا اختيارهم السياسي مصحوباً بأنه هو الإسلام ! ولما فَشلوا أو فُشّلوا انسحب الأمر على الحركة الإسلامية كلها، وعلى النظام السياسي الإسلامي ! النظام السياسي الإسلامي واضح: فهو نظام قائم على الشورى، والعدل، وتحكيم الشريعة، ومن يستطع أن يصل لأقصى درجات الفعالية الواقعية في تحقيق ذلك فهو الأصح والأقرب.. أي أن النظام السياسي الإسلامي هو الميزان، وليس هو إدعاءات وريات وشعارات وأحزاب!

***

رفع الالتباس بين العقيدة والسياسة

العقيدة: هي المعتقد والإيمان الذي يجب أن يكون عليه كل مسلم من توحيد الله في الاعتقاد والتصور، والشعيرة والنسك، والحكم والتشريع، ورد الأمر كله لله وحده بلا شريك.. هذه عقيدة الأمة التي يجب أن تجتمع عليها.

أما **ممارسة السياسة**: فهي محاولة مجموعة من المسلمين إقامة الدين، ومحاولتهم هذه تخضع لضعف البشر وأهواء البشر وسلوك البشر، ويجب أن تبقى محاولتهم في إطار النظر والتجربة والتعلم والتحليل والتسديد والتقريب. ولكن – وغالباً ما يحدث – أن هذه "المحاولة" لإقامة الدين يجعلونها عقيدة من يرفضها أو ينحرف عنها فهو الكافر المجرم المرتد!! وهذا ما أحدث كوارث؛ لأن الناس – وهي في حالة شديدة من المرض والجهل – لم تعد تعرف ما هي العقيدة التي يجب التمسك بها في كل الأحوال، وما هي السياسة التي يمكن رفضها وتعديلها والنظر فيها. لذا يجب أن نضع خطًا فاصلاً بين محاولاتنا البشرية للممارسة والتطبيق، وبين شرع الله المنزه عن كل عيب ونقص.

والسياسة يجب أن تكون منبثقة من العقيدة وفي خدمة العقيدة ومن أجل إقامة الشرع والدين، وأن تكون سياسة قادرة على استغلال المتاح في أقصى صورة، ووضع الخطط البديلة، والمستقبلية، سياسة يقظة لكل ما يحدث حاولها؛ حتى تتبع سنن الله في قيام الدول وميلاد المجتمعات.

* * *

وبعد، فلقد حاولت رفع ستة عشر التباساً في هذا المشهد بين الدين والسياسة، دون الدخول في تفاصيل عميقة لا تناسب جو البحث، وربما يكون هناك التباسات أخرى نسيتها أو جهلتها..

وعلى العموم يجب أن تكون هذه نظرة المسلم **الدقيقة** الخالية من التعميم، **العميقة** الخالية من السطحية، **الشاملة** الخالية من الجزئية، **الواعية** الخالية من الارتجال، **الموضوعية** الخالية من العصبية، **المتجردة** الخالية من الهوى.. حتى يتسنى له الفهم ثم الوعي ثم الإدراك ثم التخطيط ثم الحل.

إن تعقد المشهد الحالي، وطرق مواجهته.. تدل على نقص (قدرتنا العقلية) على "استيعاب" "وفك وتركيب" "وتحليل" واقعنا بصورة متكاملة، الأمر الذي ينسحب على فشلنا في (التخطيط) بعد الفشل في "الاستيعاب" ! نتج ذلك عن طبيعة طرق التربية والتعليم؛ التي هبطت بقدرات عقولنا لمستوى "منحط" !

إننا قد نعرف عمق المشكلة، ولكن نقف عاجزين عن "احتواءها والسيطرة عليها" لخلل في القدرة العقلية أو أمراض الاستبداد ! وهذا ما يجعل "العلم" شيء، والقدرة على "الاستبصار" و"التماسك" و"البصيرة" و"التوازن" و"المواجهة" شيء آخر بعد العلم لا مفر من إدراكه.. والتخطيط على أساسه.

وكلما رُفع الالتباس، كلما انجلت الصورة، وانقشع الغبار، وصمت الضجيج، وتبينت الصورة كاملة.. وعرفنا مكاننا فيها، وعلى أساسه تكون دعوتنا.. ويكون طريقنا إلى صراط الله المستقيم.

ويخرج الإسلام بربانيته وشموله وثباته وتوازنه وتفرّده وإيجابيته وواقعيته ومثاليته، وبحقيقته عن الله والكون والحياة والإنسان.. من الصراع السياسي، ومن أخطاء الإسلاميين، ومن التحزّب والفرقة.. يخرج من كل ذلك، ويظل هو المنهج والطريق والمعيار والميزان، لتنهض الأمة كلها بمنهجه، ولا يسع مسلم أن يترك المنهج الإسلامي لغيره، وبذلك يكون حمل رسالة الإسلام، وإقامة الدين، وتحكيم الشريعة، وإعلاء كلمة الله، وتوحيد أمة محمد ﷺ هدف لكل مسلم، وغاية كل مسلم.. وها هو "**الكتاب**" يناديها فيه ذُكرها.. فيه رفعتها.. فيه ريادتها لكل البشرية.

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: 10]

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: 44]

* * *